



بُهْلُولُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الصَّيْرِفِيِّ

أَحَدُ عُقَلَاءِ الْمُجَانِينِ الَّذِي
اسْتَفَدَمَهُ الرَّشِيدُ لِيَسْمَعَ نَوَادِرَهُ



العامّة هنا يقولون : بَهْلُول - بفتح الباء - والصواب ضمها !
 إنه اسم ظريف حقاً ، من معانيه «الضَحَّاك» وقد كان بَهْلُول
 ضَحَّاكًا ؛ وهو «أبو وهيب» بَهْلُول بن عمرو الصيرفي كان من
 المتأدبين ثم اعترته وسوسة ، فعرف بالمجنون !

وكان هذا الصنّف من عقلاء المجانين حبيباً إلى الناس ،
 يحبون أن يسمعوا حديثه ، ويتحرّروا أخباره !

إنه يجمع بين المتناقضات من عقل وجنون ، وسفه وحكمة ،
 وطيش ورزانة ، ومثله يثير في النفس بوّاعث الشّفقة
 والإعجاب ، ومظاهر التناقض ، حيث الطرافة والجدة ، واللذة !

وكان منظر بهلول وحركاته ، وسكناته ، وتصرفاته مما يغرى
 الأطفال بالضحك عليه ، والسخرية منه ، والصياح وراءه ،
 ورميه بالحجارة ، ومع هذا فإنه لم يكن يخرج عن طوره ، بل
 يقابل ذلك كله بهدوء وعطف على من يؤذونه !

رماه الأطفال مرة بحجر فأدمّوه ، فقال :

حَسْبِيَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ

وَنَوَاصِيِ الْخَلْقِ طَرًّا ^(١) بِيَدَيْهِ

لَيْسَ لِلْهَارِبِ فِي مَهْرِهِ

أَبْدَأُ مِنْ رَوْحَةٍ إِلَّا إِلَيْهِ !

رُبَّ رَامٍ لِي بِأَحْجَارِ الْأَذَى

لَمْ أَجِدْ بُدْأً مِنَ الْعَطْفِ عَلَيْهِ !

(١) طَرًّا : جميعاً ، وتعرب حالا .

فهل رأيت إنسانية أسمى من العطف على مَنْ يؤذونه ؟
قال له «أحد العقلاء» ذات يوم ، وقد تعقبه الأطفال ورموه
بالحجارة : لم لا تشكو هؤلاء الأطفال لأبائهم ؟

أتدرى بم أجاب بهلول هذا الذى يعد أحد عقلاء المجانين ؟
قال لهم : اسكتوا - أيها المجانين ! ، فلعلى إذا مت يذكرون
هذا الفرح فيقولون : رحم الله ذلك المجنون !

لقد دعاه هارون الرشيد ليُضحكه ، وليسمع الحكمة من
فمه، فلا عجب إذا قال السابقون : «خذوا الحكمة من أفواه
المجانين» !

فتعال إلى تلك الشخصية لنسرى عن أنفسنا .

تناول حجارة وارمهم كما يرمونك

وقال له عاقل : تناول حجارة ، وارم الأطفال كما يرمونك ؟
فقال له بهلول : مَهْ (اسكت) يا مجنون ! ، إنى إن فعلت شيئاً
من هذا رجعوا إلى آبائهم ، فقالوا لهم : هذا المجنون بدأ
يحرك يديه ، فيجب أن تُغَلَّ وتُقَيَّدَ يداه !

فلا يكفينى ما ألقاه من الأطفال ، بل يقيدنى الرجال !

بهلول والرشيد

لبهلول ناحية فى غاية الطرافة ، وهى تَسْتَرُه وراء مظهر
جنونه ، وقيامه بنصيحة الخلفاء والأمراء بأقوى لفظ ، وأصرح
بيان ، ومن نوادره الرائعة ، وأقواله الغالية مَارُوى أن الخليفة
هارون الرشيد خرج إلى الحج ، فمرَّ بالكوفة ، فرأى بهلولاً
يعدو على «قصبة» وخلفه الصبيان ، فقال الرشيد :

كنت أشتهى أن أراه وحده ، فادعوه دون أن تروّعوه أو تخوفوه ، فلما حضر بين يديه قال له :

يا بهلول ، كنت إليك مشتاقا !

بُهلول : لكنى لم أشتق إليك .

الرشيد : عِظْنِي !

بُهلول : وبم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم !

الرشيد : زِدْنِي !

بُهلول : من أعطاه الله مالا وجمالا ، فعَفَّ في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في «ديوان الأبرار» .

الرشيد : قد أمرنا بسداد ديونك إن كانت .

بُهلول : لا ، إنه لا يُقْضَى دَيْنٌ بَدَيْنٍ ، أُرْدِدُ الحَقَّ إلى أهله ، واقضِ دينَ نَفْسِكَ !

الرشيد : ألك حاجة ؟

بُهلول : أنا وأنت عيالُ الله ، فمُحالٌ أن يذكرَكَ وينسانى !

ثم ركب قصبته وجَرَى !

وأخذ الرشيد يستعيد كلَّ كلمة قالها ، ولم يسمعها من أولئك العقلاء !!

بُهلول بين المقابر !



ويجلس بُهلول بين المقابر ، فينطق بالموعظة الحسنة والحكمة البالغة فيقول لكل غافل :

«أما ترى هذه الأعين السائلة ، والمحاسن البالية، والشعور

المتعمطة^(١) ، والجلود المتمزقة ، والجماجم الخاوية ، والعظام
النخرة ، لا يتقاربون بالأنساب ، ولا يتواصلون تواصل الأحاب
قد صارت الوجوه عابسة بعد نضرتها ، والعظام نخرة بعد
قوتها ، تجر عليهم الرياح ذبولها ، وتصب عليهم السماء
سيولها!!»

≡≡≡ دعوة من بهلول للخليفة !

وقف بهلول يوما فى طريق الرشيد ليدعو له إذا ما مر به ،
فلما حاذاه الرشيد ، قال :
يا أمير المؤمنين ، أسأل الله أن يرزقك ، ويوسع عليك ،
فضحك الرشيد ، وقال : آمين !
فلما تجاوزه الرشيد منصرفا عنه صفعه الوالى ، وقال له :
أهكذا تدعو لأمير المؤمنين يامجنون ؟!
فقال بهلول للوالى : اسكت يا مجنون ! ، فليس فى الدنيا
أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم !
فبلغ ذلك الرشيد ، فضحك وقال :
والله ما كذب ... والله ما كذب !!

≡≡≡ بهلول يسجل رأيه على قصر الخليفة !

بنى بعض الخلفاء قصرا ، فتناول بهلول قطعة من الفحم
وكتب عليه :
«رفعت الطين ، ووضعت الدين ، ورفعت الجص^(٢) ووضعت
النص» .

(٢) من مواد البناء .

(١) المتساقطة .

وهكذا قصر العقلاء ، فى نصيحة الخلفاء والأمراء ، فقام
بهذا الواجب عقلاء المجانين !

من فكاوته الحُلوة !

من فُكاوته الحُلوة ، ونوادره الطريفة ، وأجوبته المسكّنة ، أن
أمير الكوفة ولد له بنت ، فساءه ذلك !

فذهب إليه بهلول ، وقال له :

أيسُرُّك أن لك مكانها ابناً مثلى ؟ !

فقال له : ويحك ! فرجّت عنى ما أنا فيه !

هو والخليفة موسى الهادى !

صحابه مجنون آخر مثله ، فقابلهما الخليفة الهادى ؛ فقال
لبهلول : لم سُميتَ بهلولا ؟

فقال له : ولم سُميتَ أنت موسى ؟

فشتمه الهادى وسبّه ، فنظر بهلول إلى صاحبه ، وقال له :
كنا اثنين ؛ فأصبحنا ثلاثة !

إنه يرى أن يكون للعقلاء فضلهم على غيرهم فيتحلون
بالحلم ، وسماحة النفس ، ولين الجانب ، والصبر ، وإلا لحقوا
بعقلاء المجانين !

بُهلول والصَّبِيان !

كان بُهلُول يوماً جالساً ، والصَّبِيان يُؤذونه ، وهو يقول لا
حولَ ولا قوّة إلا بالله ... ويكررها مراراً !

فلما طال أذاهم له أخذ عصاه وقال :

حَمِيَّ الوَطِيسُ^(١) ، وطابتِ الحربُ ، وأنا على بَيِّنَةٍ من رَبِّي !

ثم حَمَلَ عليهم وهو يقول :

أَشُدُّ على الكَتِيبَةِ لا أُبَالِي

أفِيهَا كان حَتْفِي^(٢) أم سِوَاهَا

فتساقط الصَّبِيانُ بعضهم على بعض ، وتهاربوا !

فقال : هُزِمَ القَوْمُ ، وولَّوْا الأَدْبَارَ !

أمرنا أميرُ المؤمنِينَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن لا نَتَّبِعَ مُوَلِّيًّا ، ولا نُجَهِّزَ

على جريح !

ثم رجع ، وجلس ، وطَرَحَ عَصَاهُ وقال :

فألقت عَصَاهَا واستَقَرَّ بها النُّوَى

كما قَرَعِينَا بالإِيَابِ المُسَافِرُ^(٣)

بهلول يتكلم بالقرآن !



كان بهلول يحفظ القرآن ، وكثيرا ما تسعفه الآيات في
المواقف الحرجة ، فتجرى على لسانه ، وتُصِيبُ مَنْ حَوْلَهُ

بالدهشة والعجب !

وذات يوم فرَّ من الصَّبِيانِ ، فلجأ إلى دار قد وجد بابها

مفتوحًا ، فدخلها ، وصاحبُ الدار قائم له ضفيرتان !

فصاح به : ما أدخلك داري ؟

فقال : «ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في

الأرض^(٤)» .

(١) الوطيس : المعركة ، وحمى الوطيس : جدت الحرب واشتدت .

(٢) الحتف : الهلاك . (٣) استقر به النوى : أقام .

(٤) اقتباس لطيف من الآية الكريمة رقم ٩٤ من سورة الكهف .

وحمل عليه الصبيان يوماً ، فدخل دارا ، فدعاه صاحب الدار إلى طعامه ، فجعل الصبيان يصيحون بالبواب وهو يأكل ، ويقول : «فَضُرْبَ بَيْنَهُمْ بُسُورٌ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ»^(١) ،

أيهما المجنون ؟



وقف رجل على بهلول ، فقال له : قد وقفت أنت ههنا ، والأمير يُعْطَى المجانينَ كلَّ واحدٍ درهمين !
فقال له بهلول : فاعْرِضْ عَلَيَّ دِرْهَمَيْكَ !

ما تقول يا بهلول ؟



قيل لبهلول : ما تقول في رجل مات وخلف أمًّا وزوجةً وبنْتًا؟
فقال : لِلْأُمِّ الثُّكُلُ ! وَلِلْبَنِّ التُّيْتَمُ !
وَلِلزَّوْجَةِ الْحَرْبُ ! (الهلاك) . وما بقى فهو للعَصْبَةِ !

لماذا هرب ؟



دعاه الرشيد ذات يوم ليضحك منه ، فلما دخل عليه دعا له بمائدة ، ليس عليها إلا الخُبْزُ وحده !
فولَّى بهلول هاربا ! فقال الرشيد : إلى أين ؟
فقال : أجيء إليكم «يوم الأضحى» فعسى أن يكون عندكم لحم !!

(١) اقتباس لطيف من الآية الكريمة رقم ١٣ من سورة الحديد .

بهلول وتركته والده !



لما مات والد بهلول ترك ستمائة درهم ، فحظر عليه القاضى التصرفَ فيها لِصِغَرِ سنه حتى يبلغ سن الرشد .
فجاءه يوما ، وقال له : أيها القاضى ، ادفع إلىّ مئة درهم حتى أجرب الاتجارَ بها ، فإن أحسنتُ دفعتُ إلىّ الباقي !
فدفع إليه القاضى ما طلبه .

فأخذها ، وأتلفها ، وعاد إلى مجلس القاضى وقال : إنى أتلفتُ المئة ، فتفضلْ بردها ، وتحملْ عنى مسئوليتها ، فقد أسأت حين دفعتها إلىّ قبل أن يثبتَ عندك رشدى !
فقال القاضى : صدقت يا بهلول ، وردّها من ماله الخاص !

بهلول فى مقبرة



رئى بهلول فى مقبرة ، فقيل له : هلاّ خالطت الأحياء من الناس بدلا من الأموات !؟ فقال : إنى بين قوم إن حضرت لم يؤذونى ، وإن غبت لم يغتابونى .

قيل له : فادع الله ؛ فإن الناس فى ضرّ وشدة من الغلاء !
فقال : وما علىّ من ذلك ، ولو بلغتِ الحبةُ دينارا !!
وإنما علىّ أن أعبدَ الله كما أمرنى ، وعليه أن يرزقنى كما وعدنى ، وأدلى رجليه فى قبر ، ثم صفق بيديه وأنشد :

يامن تمتع بالدنيا وزينتها

ولا تنامُ عن اللذاتِ عيناها

شغلت نفسك فيما لست تدركه

تقولُ لله ماذا حين تلقاه !؟

أحب الناس إليه



قال الرشيد لبهلول : من أحبُّ الناس إليك ؟

قال : من أشبع بطنى !

قال : أنا أشبعُك فهل تحبُّنى ؟

قال : الحب بالنسيئة^(١) لا يكون !

بُهلول والمجانين



قيل لبُهلول: عُدَّ لنا مجانين البصرة !

فقال : هذا يكثر جدا ويَّعُد !

ولكن إذا أردتم عددت لكم عقلاءهم !

الحمد لله



صعد أحد ولاة مدينة الكوفة - المنبر فى أول ولايته ، ثم قال: الحمد لله ، ولم يجد ما يقوله ... فجعل يكرر «الحمد لله» .

وكان بُهلول بالمسجد ، فتطلع إليه ، وقال : الذى ابتلانا بك !

من عمل اللصوص !



مرَّ بُهلول بسوق الأقمشة والملابس ، فرأى قوما مجتمعين على باب دكان ينظرون إلى «نَقْب» قد نُقِبَ على بعضهم !

فاطَّل فى «النَّقْب» ثم قال : وكلِّم لا تعلمون من فعل هذا ؟!

قالوا : لا .

(١) النسيئة : تأجيل دفع الثمن ، وتأخيره . يريد أن الحب بالأعمال لا الأقوال .

قال : فإنى أعلم !

قال الناس : هذا مجنون يراهم بالليل ، ولا يتحاشونه ؛
فألينوا له القول لعله يُخبرنا بذلك !

فسألوه أن يُخبرهم فقال :

إنى جائع ، فهاتوا أولاً أربعة أرطال رقاق ورأسين!

فأحضروا ذلك له فأكل ولم يُبق شيئاً !

ثم نظر إليهم وقال : هأنذا أشتهى شيئاً حُلواً بعد الأكل !

فأحضروا له رطلين «فالزوج»^(١) ، فلما فرغ من أكلها ، قام
وتأمل «النقب» ثم قال :

كأنكم الساعة لستم تعلمون : من عمَلٍ من هذا النقب ؟

قالوا : لا .

قال : هذا من عمَلِ اللصوص لاشك !

وفرّ من بين أيديهم !

بهلول وطامع فى ماله



كان بهلول يجمع ما يُوهبُ له عند امرأة كانت له كالأم !

وربما أخفى عنها شيئاً ودفنه فى أرض خربة !

وذات يوم أتته «عشرة دراهم» تصدق بها عليه أحد

المحسنين، فذهب بها إلى أرض خربة ، ودفنها فيها !

ولمحه رجل ، فانتظر حتى خرج بهلول ، وذهب إلى المكان

الذى أخفاها فيه ، وأخذها !

(١) حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، وتصنع من النشا والماء والسكر .

ولما عاد بهلول لم يجدها ، وكان قد رأى الرجل يوم دفنها
فأيقن أنه هو الذى أخذها !

فذهب إليه وقال : اعلم يا أخى أن لى دراهمَ مدفونة فى
مواضع كثيرة متفرقة ، ولقد جاءتنى «فكرة» أن أجمعها كلها
فى مكان واحد مأمون دفنت فيه منذ أيام عشرة دراهم !

فبالله عليك ، احسب لى كم تبلغ جملتها ؟

قال الرجل - وهو يحلم بالاستيلاء عليها - هات :

قال بهلول : خذ عشرين درهما فى موضع كذا ، وخمسين
فى موضع كذا ، حتى طرح عليه مقدار ثلثمائة درهم .

ثم قام من بين يديه ومَرَّ ، والرجلُ يحلم بالحصول على هذه
الثروة ! ، وأخذ يفكر فى طريقة للحصول عليها ..

فقال فى نفسه : الصواب أن أرد العشرة إلى موضعها حتى
تطمئنَّ نفسه ، فيجمع إليها هذه الجملة ، ثم أخذها كلها مرة
واحدة ! فردها ، وجاء بهلول ، فدخل الخربة ، وأخذ العشرة ،
و«قضى حاجته مكانها» ! ووضع فوقها ترابا ، وخرج مسرعا .

وكان الرجل مترصدا لبهلول ، وقت دخوله وخروجه ، فلما
خرج أسرع إلى ذلك المكان ، ومد يده ليرفع التراب عن
الدنانير ، فتلوّث يده ، بفضلات بهلول ، ولم يجد شيئا ! ،
وظن لحيلة بهلول !

وبينما هو يغسل يده التى تلوّثت إذ أتاه بهلول فقال له :

احسب ياسيدى ، عشرين درهما ، وخمسة عشر درهما
وعشرة دراهم ، وشتمّ يدك !

فوثب الرجل ليضربه ، ولكنه كان قد فر من بين يديه !

أطعمنى مما تأكل !

≡≡≡

قال بعضهم : مررت يوماً بيهلول ، وهو يأكل خبزة مع دجاجة ، فقلت له : يا بهلول ؛ أطعمنى مما تأكل !
فقال : ليس هذا لى وإنما دفعته إلى «أم جعفر» آكله لها .

هل يكفى اثنين رأس خروف ؟

≡≡≡

قيل لبهلول : أيكفى اثنين رأس واحد ؟

قال : نعم إذا كان أحدهما نائماً !

بهلول وصاحب المارستان !

≡≡≡

حكى أن صاحب «المارستان»^(١) أتاه بقذح فيه دواء وقال له :
اشرب يابن الـ...

فقال بهلول : هات حتى أشربه، والله أعلم أنك أحق به منى !

عندما حمل إلى المارستان !

≡≡≡

ولما حمل إلى المارستان سأل الحراس والمشرفين عليه أن يأذنوا له فى زيارة بيته ليُوصى أهله بشيء ، ولكنهم منعوه ، ولم يسمحوا له ، فقرأ :

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس : ٥٠]

عزاء جميل

≡≡≡

أصيب إسحق بن محمد بن الصباح الكندى بابن له ، فجزع ،
فدخل أهل الكوفة يُعزّونه !

(١) المصحّة ، أو المستشفى .

ودخل معهم بُهلول ، فقال : أيسرّك أنه بقى ، وأنه مثلى ؟ !
قال : لا والله ، وإنما لتعزية !

ما تشتهى يا بُهلول ؟

قيل له : ما تشتهى من الفاكهة الرطبة ؟
قال : لحم .

قيل فمن اليابسة ؟

قال : قديد ! (اللحم المجفف فى الشمس) .

قيل : فمن الشراب ؟

قال : المرققة !

قيل : فمن السماع ؟

قال : نشيشُ المقالى (صوت المِقلَى)

كيف نفى التهمة عنه ؟

رمى بُهلول رجلا فَشَجَّ رأسه وسال دمه !

فقدمه إلى الوالى ، فقال له :

لم رميت هذا ؟

فأجاب : مارميتُهُ ، ولكنه دخل تحت رَمَيْتى !

